الاستخدام السياسي للبحار والأنهار من خلال نماذج من أدب الرحلات

أ. تغريد فاروق محمد الحسانين

باحثة دكتوراه

كلية الآداب – جامعة بني سويف

تحت إشراف أ.د. هانم محمد فوزي

Abstract

Political Use of Seas and Rivers through Models of Travel Literature

This study refers to the political use of rivers through some example of travel literatures. The travel in the ancient world was considered dangerous even during the Roman peace, put the classical poets turn this danger and difficulties during trips to the goals they seek to achieve. Especially trips that rely on travel by sea or river which makes them eager to incorporate fantasy into reality to achieve their targets. This happens either in the imperial court because it stems from their own sense of responsibility towards their homelands and maintaining peace. Such as the Aeneid of Virgil where the horrors of the journey and descent to the lower world and then finally reached the real happiness to find the homeland the he wants. As well as with Ovid in the Tristia , he wishes to pardon and seduce the emperor for returns to home again . And Ausonius in his poems about the rivers and his journey to get the rest and tranquility in his home in Gaul.

Keywords: Travel literature, Ausonius' Mosella, Ovid's Tristia, Virgil's Aeneid.

يعد ذكر البحار والأنهار فى الأدب الكلاسيكى أمرا بارزاً من خلال الأعمال التى يطلق عليها أدب الرحلات ، والتى تقتبس الكثير من موضوعاتها من مغامرات أبطال الملاحم الشهيرة مثل ملحمتى الأوديسية لهوميروس والإينيادة لفرجليوس، كما تأثر بها أوفيديوس فى عمله ديوان الأحزان ثم أبوللليوس فى عمله "الحمار الذهبى" وكذلك أوسونيوس فى قصيدته عن نهر الموسيلا.

إذ تعبر هذه الرحلات عن تجربة كاتبها الذى يرتحل إلى مكان ما، إما للمتعة أو لأسباب أخرى، فالسفر بالنسبة للبطل الهوميرى يعد مغامرة وفى الوقت نفسه بحث عن موطنه فى إيثاكا. أما آينياس بطل إنيادة فرجليوس فيبحر مع رفاقه بعد سقوط طروادة باحثًا عن مدينة جديدة ومقر جديد على ساحل ايطاليا، فالسفر بالنسبة له لا يحمل المتعة ولكن هو عمل دؤوب ومهمة تاريخية، كما يحمل هبوطه إلى العالم السفلى دليلاً على التدين العميق والكثير من المعانى السامية.

وهناك أيضاً شكل آخر للسفر ولكن عن طريق النفى والإجبار كعقاب والذى يمثله عمل أوفيديوس "ديوان الأحزان" والذى يمثل تجربته القاسية بسفره إلى مدينة توميس حيث نفى مصورًا المآسى والأهوال التى تعرض لها إلى أن وصل إلى هناك.

أما أبوللليوس فى عمله "الحمار الذهبى" فيصف رحلة لوكيليوس عبر الأراضى اليونانية، وهى رحلة ذات طابع خاص، حيث يمر البطل بكثير من المغامرات والآلام إلى أن يستعيد وجهه الآدمى مرة أخرى. وأما قصيدة الموسيلا لأوسونيوس فهو يصف رحلته عبر النهر إلى مدينة ترير Trier وهى الرحلة التى تعطى الفرصة للشاعر لكى يغزو الماضى، ويستحضر الصراعات والحروب والبطولات فى هذه الأراضى جنوب بلاد الغال، كما أنه يستغل هذه الآحداث للتأثير فى الوضع السياسى فى عصره عن طريق إعطاء الكثير من الرسائل للوحدة بين الأنهار والإنصهار فيما بينها.

فبينما تحمل كل هذه الملاحم والقصائد المتعة فى وصف الرحلات والسفر، فهى تحمل أيضاً الرمز السياسى وأهداف سياسية لمؤلفيها، وذلك على الرغم من إختلاف العصور والظروف السياسية لكل منهم.

ومن ثم فإن هذا البحث يهدف إلى الإشارة إلى دور أدب الرحلات فى الحياة السياسية، وكيفية استخدامه من قبل الشعراء الرومان فى توطيد علاقاتهم بالبلاط الإمبراطوري من ناحية وتوصيل رسالة إلى القراء من ناحية أخرى، ولتحقيق هذا الهدف فقد اتبعت الباحثة المنهج التحليلى المقارن.

ومن هذه الأعمال التى استخدمت البحار والأنهار للرمز السياسى:

إينيادة فرجيلوس :

فعندما شرع فرجيليوس فى نظم الإينيادة كان يفكر فى إنتاج عمل ضخم يتغنى بمآثر الرومان وإنتصاراتهم الحربية وذلك فى عمل ملئ بالمشاهد الحربية والمعارك والتى يظهر بها الإنسان الرومانى وشجاعته التى يرغب فى إبرازها[١].

وهناك مصدران رئيسيان أخذ منهما فرجيليوس موضوع ملحمته، أولهما هو تاريخ روما حيث العصر الذى تميز بالسلام الرومانى" Pax Romani "على يد الإمبراطور أوغسطس أما المصدر الثانى فهو الأساطير والروايات ؤالتى تدور حول نشأة روما، وأصل الشعب الرومانى[٢].

وتضم الإينيادة إثنى عشر كتابًا، فيناول الكتاب الأول قصة آينياس البطل عندما اقترب من الأرض الموعودة، ولكن الرياح تضرب سفينته وهى التى أرسلتها يونو زوجة يوبتر لتسبب له المتاعب لأنها تعادى طروادة وسلالتها.

وتستمر رحلته ليصل إلى ديدو الملكة الفينيقية التى تقع فى حبه ولا ترغب فى ذهابه ليكمل رحلته، إلا أنه يستطيع أن يتخلص من هذا الحب ويكمل طريقه فى أهوال ومخاطر مارًا بالعالم السفلى الى أن يصل إلى الأراضى الإيطالية التى ستصبح مركزًا للإمبراطورية الرومانية العظيمة.

فمن خلال رحلته عبر البحر يعانى الأهوال والمصاعب حيث يموت والده انخيسيس فى صقلية أثناء الرحلة، والذى يلتقى به مرة أخرى عندما يمر فى العالم السفلى عند بحيرة أفيرنوس، ويلتقى بوالده فى الإليسيوم وهو مكان السعداء والمباركين حيث يطلعه

1- Rose H. J,(1942) "Eclouges of vergil", Berkeky, 247.

٢ – فرجيليوس الإينيادة، الجزء الأول (١٩٧١)، ترجمة مجموعة من الأساتذة :الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص٤٦–٤٨.

والده على الأرواح التى ستولد فيما بعد فى روما ثم تنمو وتكبر وتصبح شخصيات ورجال لهم دور فى التاريخ الرومانى منذ تأسيس المدينة وحتى عصر أوغسطس، وهو ما قاله فرجيليوس على لسان والد آينياس فى الكتاب السادس من الإينيادة:

"قد ينحت الآخرون" بمهارة أكثر تفوقًا "تماثيل من البرونز
يجرى فى عروقها الدم، إنى أؤمن بذلك حقا،
ويد يشكلون من الرخام وجودها تنبض ملامحها بالحياة،
وقد ساحات القضاء قد يصوغون عبارات الدفاع ببراعة أكثر،
وقد تصف أقلامهم أفلاك السماء ومداراتها، وقد يلمون بمطالع النجوم.
أما أنت أيها الرومانى فرسالتك هى أن تحكم شعوب الدنيا بسلطانك،
وبراعتك هى أن تنشر أسس السلام وتعفو عن المغلوبين،
وتدحرالمتغطرسين" [1].

excudent alii spirantia mollius aera
(credo equidem), vivos ducent de marmore vultus,
orabunt causas melius, caelique meatus
describent radio et surgentia sidera dicent
tu regere imperio populos, Romane, memento
(hae tibi erunt artes), pacique imponere morem
'.parcere subiectis et debellare superbos
(Aen.6. 847 – 53)

فهذه المصاعب التى واجهها آينياس خلال رحلته عبر البحر حيث المصاعب التى واجهها بسبب الرياح أو النزول إلى العالم السفلى تظهر فى الكتاب السادس من الإينيادة :

"يا أبن انخسيس، يا سليل الآلهة،
ولاريب، إنك الآن ترى بحيرات كوكتيوس العميقة، ومستنقع "ستيكس"
"olli sic breviter fata est longaeva sacerdos:
Anchisa generate, deum certissima proles'
(Aen.6. 321 – 322)

فلقد مر آينياس بأهوال حيث قابل الموتى التى تحوم أرواحهم منذ سنوات عديدة :

[1] – أحمد عتمان (١٩٩٥) الأدب اللاتينى ودوره الحضارى ، القاهرة: دار المعارف ، ص ص١٩٤ – ١٩٥.

"وهذا هو خارون، المعداوى، وهؤلا الذين عملهم قاربه هم أصحاب القبور من الموتى، ولا يسمح لسواهم من لم يحظوا بنعمة الدفن، بالعبور إلى الشواطئ الرهيبة والبحيرات ذوات الصوت الأجش قبل أن تستريح عظامهم تحت الثرى. إن أرواحهم تحوم هنا حول الشاطئ مائة عام بعدئذ يسمح لهم بالدخول وزيارة المستنقعات التى يتحرقون شوقًا لزيارتها"[١] .

portitor ille Charon; hi, quos vehit unda, sepulti.
nec ripas datur horrendas et rauca fluenta
transportare prius quam sedibus ossa quierunt
centum errant annos volitantque haec litora circum؛
tum demum admissi stagna exoptata revisunt.

(Aen. 326 – 30)

والتى ينتقل بعدها آينياس إلى المرحلة الأكثر شهرة فى رحلته من خلال العالم السفلى، وهى الحقول الإليزية، التى يصل إليها أصحاب النفوس المباركة:[٢]

"بعد أن أتما هذا العمل، وأقاما هذه الشعائر تكريمًا للآلهة، وصلاً أخيرًا إلى "السهول السعيدة" إلى مروج الأحراش المباركة، الخضراء، بهية الطلعة، مهد الفرحة إلى ساحات يلفها هواء أرحب، وشذى طيب، نورها ربانى ساطع. فلها شمس خاصة ليست ككل الشموس. ونجوم فريدة ليست كباقى النجوم"[٣] .

largior hic campos aether et lumine vestit
purpureo, solemque suum, sua sidera norunt
pars in gramineis exercent membra palaestris
(Aen. 6.639 – 42)

وتشير الآبيات السابقة إلى سعادة آينياس فى الحقول الإليزية بعد رحلته خلال العالم السفلى، وتعبر عن فرحته بوطنه القادم[٤] .

---

[١] - فرجيليوس(١) الإنيادة ، ترجمة مجموعة من الأساتذة (١٩٧١)، ص ٢٩١.

[2] Lobato J.H. (2016) "Mystic River: Ausonius "Mosella. As an Epistemological Revelation , Ramus45(2),231-235.

[٣] - فرجيليوس (١) الإنيادة ، ترجمة مجموعة من الأساتذة (١٩٧١)، ص ٢٩٠.

4- Gorler .F (1969) "VergitZiate in Ausonius' Mosella, "Hermes 97, 195.

فقد استخدم فرجيليوس السفر عبر البحر ليرمز إلى المعاناة والصراعات التى واجهها آينياس لكى يصل أخيرًا إلى وطنه المنشود فلم يكن العالم السفلى بالنسبة له النهاية ولكن البداية لحياة أخرى للشعب الرومانى ككل.

ديوان الأحزان لأوفيديوس:

ألف أوفيديوس ديوان "الأحزان" عندما قرر أوغسطس نفيه إلى مدينة توميس وجاء هذا القرار فى العام الثامن الميلادى وذلك لسببين : الأول هو عمله ديوان "فن الهوى" والسبب الثانى كان خطأ غامض، ويمكن اعتباره السبب الحقيقى الذى أدى إلى نفيه، حيث كان كالشرر الذى أشعل النيران ضده(١).

ففى ذلك الوقت كان قد مر على حكم أوغسطس لروما أربعون عامًا، ظل يعمل خلالها جاهدًا على منح روما صورة جديدة، حيث كان الترف يسود الطبقات العليا داخل الإمبراطورية وفسدت الأخلاق، وتفككت الأسر، وقد مثل هذا خطرًا على المجتمع الرومانى مما جعل أوغسطس يحاول إعادة العادات والفضائل القديمة لروما(٢).

وأما سياسيًا فقد إهتم أوغسطس منذ بداية حكمه بتأمين حدود الإمبراطورية، وإيقاف التمرد فى كثير من المدن داخل ايطاليا وخارجها، ولكن الفترة ما بين عام ٦ إلى ٩ ميلاديًا حدثت انقلابات عسكرية متكررة. ولذلك فقد عمل أوغسطس على أن يحى من جديد شعور الواجب القومى ويشجع الرجال على خدمة الوطن.

وفى هذه الأثناء تم نفى أوفيديوس بشكل مفاجئ وسريع خارج روما، ولذلك نظم أوفيديوس ديوان "الآحزان" محاولاً الدفاع عن نفسه فى كتاب كامل من ديوان الآحزان وهو الكتاب الثانى، إذ حاول به درء أى اتهام له وخاصة عمله الذى كتبه قبل نفيه وبه أشعاره الجريئة والتى من الواضح أنها لم تكن تناسب سياسة أوغسطس فى ذلك الوقت(٣).

1- Aleander, W.H,(1957) "The culpa of Ouid" C J 53 (1),.319.

2 -Mack S, (1988)" Ovid", New Haven and London, 36

3- Wiedemann (1975) "The political Backgroung to Ovid's trista2", CQ, 265-6.

ولكى يزيد من تعاطف أوغسطس ليعفو عنه فقد نظم قصائد يعبر فيها عن معاناته سواء فى طريقه إلى منفاه أم فى توميس نفسها حيث تم نفيه.

فقد استخدام أوفيديوس سفره ورحلته ليعبر عن المصاعب التى واجهته وآلامه الشديدة حتى تؤثر فى نفس أوغسطس وفى قرائه، وذلك من خلال مقارنة منفاه وما مر به من أحداث بأساطير الأبطال من خلال معاناته الشخصية، ويشعر أن القدر جعله يعانى من محن قاسيه أكثر مما مر بها أبطال الملاحم(١).

فهو يصور نفسه بالبطل الاسطورى الذى يغيب عن وطنه، وزوجته كالبطلات الأسطوريات تعمل جاهدة من أجل إستدعائه إلى وطنه مره أخرى. كما أنه يشبه أوغسطس بالإله جوبتر الغاضب الذى يدمر بصواعقه شخصية فانيه(٢).

وقد ظهر هذا التشبيه كثيرًا من خلال ديوان الآحزان حيث يجمع بين غضب أوغسطس والإله جوبتر مما جعل من نفسه ضحية للظلم والطغيان الإلهى كأبطال التراجيديا والملاحم(٣). وتبدأ هذه المعاناة منذ مغادرته لروما وهو ما ظهر فى كتابه الأول والذى بدأه برحلته من روما وأنهاه قبل وصوله إلى توميس حيث منفاه .

وفى قصيدته الثانية من هذا الكتاب يواجه الموت حيث العاصفه التى واجهها مثل آينياس فى رحلته، ولكنه أسوأ حالاً من آينياس قد أجبر على السفر تاركًا عائلته وأصدقائه خلفه، بينما رحل آينياس مع رفاقه وابنه:-

"لقد أرغمت على النفى فى الأعماق، مع رفاقى،
وابنى واليبناتيس(٤) والآلهة العظيمة" (٥)

"Feror, exsul in altum cum sociis
Nataque penatbus et magisdis"
(Aen.3.11-12)

1- Frankel. H (1945) "Ovid, Apoet Between two worlds" Califrnia,114-5.

2- Holzberg N. (2002), Ovid, the powt and his work , London.,181.

3- Syme, R.(1978), History in Ovid, Oxford ,226.

٤ – البيناتيس: هى الأرواح الحارسة لمخازن الطعام وأهل البيت والحياة المنزلية عند الرومان. فرجيليوس (١) الإنيادة (١٩٧١)، ص١٥٩.

٥ – المرجع السابق نفسه، ص١٦٦.

فلم يصطحب أوفيديوس أيا من أفراد عائلته أو خدمه معه، ولم يكن لديه الوقت الكاف ليستعد للرحلة ومغادرة روما، وذلك يؤكد أن كل ما منح لاينياس قد حجب عنه[١] :

"فلم أعتنى باختيار خدمى ولا رفاقى،

ولا الملابس المناسبة ولا التجهيزات للمنفى"

"non mihl servorum, comits non cura legendi,
Non aptae profugo vestis opisve fuit.
(Tr.1.3.9-10)

ويهدف أوفيديوس من هذه المقارنة أن يستبدل العائلة الإمبراطورية بالآلهة الغاضبة، ومقاربة بين الهدف من رحلته ومن رحلة آينياس التى كان لها هدف سام بينما لا يجد أوفيديوس هدفًا لرحلته إذ يقول فرجيليوس:

"بسبب غضب جونو الذى لا يعرف الصفح،

قاس الكثير فى الحرب أيضًا، كى يستطيع أن يؤسس مدينة"[٢]

"Saevae memorem lunonis ob iram,
Multa quoqme et bello passus, dum conderturbem"
(Aen.1.4- 5)

ويعبر عن صعوبة رحلته عبر البحر قائلاً:

"من المصائب التى أتحملها بعد أن قذف بى فى الكون كله،

طالما أننى أسعى فى بؤس وراء الشواطئ الواقعة على يسار يوكسينوس"[٣]

"qmam mala, qmae toto patior iactatus in brbe,
Dum miser Euxini litora laeva peto"
(Tr.4.1.59-60)

1- Evan . H.B , (1983)," Publice Carmina, Ovids Book from Exile, Lincoln – London, 37.

٢ – فرجيليوس (١) الإنيادة، ترجمة مجموعة من الأساتذة (١٩٧١) ، ، ص٨٢.

٣– يوكسينوس Euxinus : بمعنى "المضيافة" وقد ذكرها اوفيديوس كنوع من التهكم.

وهذه الإشارة إلى اتجاه الرحلة تقارن بما جاء فى كلمات هيلينوس[١] فى الإينيادة عندما أخبر آينياس أن يبحر إلى جزيرة صقلية ويبحث عن الشاطئ الذى يقع على جهة اليسار:

"فلتتجه إلى اليابسة الواقعة على يسارك،
ولتسلك الطريق الدائرى الطويل فى المياه الواقعة على يسارك أيضًا"[٢]

"Lava tibi tellus et longo leava peatntur.
Aequora ciccuitu, detum fuge litus et undas"
(Aen.3.4 12- 13)

ووصف أوفيديوس العواصف التى أبحر من خلالها فى شهور الشتاء القاسية إلى منفاه فى كل من القصيدة الثانية والرابعة من الكتاب الأول ، إذ نظم القصيدة الثانية فى البحر الأدرياتيكى، حيث المرحلة الأولى من الرحلة، والقصيدة الرابعة تكمل رحلته وتصف العاصفة الثانية التى مر بها فى البحر الأيونى،[٣] ، فوصفه للعاصفة التى تعرض لها فى رحلته والأخطار التى كان محاطًا بها والموت الذى كان يلوح فى الأفق، ظهرت عند أبطال الملاحم الخالدة فى كل من الإينيادة والأوديسية، مقارنًا نفسه بهما، رافعًا يده إلى السماء طالبًا مساعدة الآلهة والنجاة من الأخطار ضد غضب الطبيعة وضد غضب أوغسطس[٤].

"فستورينا الأكثر قربًا من تورنوس كانت تكره أينياس،
الآن فهو آمن من خلال قوة فينوس
وكثيرًا ما سعى نبتونوس الجامح خلف أوليكيس الحذر،
ومنيرفا كانت دائما تنقذه من عمها،
ومهما بلغ الشخص منا فإننا بعيدون عن هؤلاء
فمن يمنع مشيئة الإله الغاضب من أن تنفذ؟ "

---

١ – هيلينوس : هو شقيق هيكتور البطل الطروادى، واصبح ملكًا على المدينة التى انشأها وكاهنًا لمعبد أبوللون . فرجيليوس (١) الإنيادة ، ترجمة مجموعة من الأساتذة (١٩٧١)، ص١٩٧.

٢ – المرجع السابق نفسه ،ص١٨٠.

3-Evans (1983), 35.

4- Kenney E.J,(1984) "Ovid, in the Cambridge History of classical literature", Cambridge., 449.

"Oderat Aenean Propior Saturnia Turno,
I lle tamen Veneris numine tutus erat
Saepe ferox cautum peti it Neptunus Vlixem,
Eripuit patruo saepe Minervasuo.
Et nobis aliqmod, qmamvis distamus abillis,
Quis veatat irato numen adesse deo[1].
(Tr.1.1.7-12)

ويذكر أوفيديوس كلا من آينياس وأوليكيس (أوديسيوس) بشكل مباشرة حتى يقوى مقارنته بهما إذ يقرن غضب أوغسطس بغضب كل من يونو فى الإينيادة وبوسيدون فى الأوديسية طالبا مساعدة الآلهة، كما ساعدت فينوس آينياس وكما ساعدت مينيرفا أوليكيس.

أما فى قصيدته الخامسة من الكتاب الأول من ديوان الأحزان" فيعقد أوفيديوس مقارنة مطولة بينه وبين أوليكسيس، حيث يركز على نقاط محددة فى المقارنة بينه وبين البطل الملحمي، مثل مسافة البعد لكل منهما ويشير إلى أن مسافة ترحال أوليكسيس كانت صغيرة، بينما هو لم يكن معه صحبة ولم يكن يساعده أى من الآلهة[٢].

حتى أنه فى نهاية قصيدته حيث بلغت المقارنة بينها ذروتها فى الأبيات الختامية للقصيدة، نجد أولكسيس يعود إلى وطنه بينما لا يستطيع أوفيديوس ذلك ومن ثم فهو يثير الشفقة على حاله حتى يلين غضب أوغسطس[٣]

وفى النهاية وطئت قدماه وطنه المنشور وآلهته.

الذى بحث عنه طويلا، وداس حقوله،

إلا أننى كتب على أن أحرم من أرض وطنى إلى الأبد،

---

[١] – نبتون: اله البحر عند الرومان ويقابل بوسيدون عند الاغريق، وكانت تقام له العبادة فى شهر يوليو من كل عام وتروى الأساطير أن الإله نبتونوس ساعد الطرواديين فى تأسيس مدينتهم، ولكنهم لم يجزوا له العطاء فغضب عليهم وعلى مدينتهم.

فرجيليوس (١) الإنيادة، ترجمة مجموعة من الأساتذة (١٩٧١) ، ص١٦٤.

[٢] – تغريد فاروق(٢٠٠٨)، ديوان الأحزان وجهاً آخر لأوفيديوس ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ص. ٤٥–٤٦.

3- Evans (1983), 40.

إلا إذا هدأ غضب الآله.
"denique qmaesitos tetigit tamenille penates,
Que que diu, contigit arcva tamen,
at mihi perpetuo patria tellure caredmest,
ni fuerit lasei molloir ira dei
(Tr.1.5.8 1-4)

ولكى يكمل أوفيديوس الشكل الملحمى الذى رسمة لنفسه من خلال رحلته إلى المنفى نجده فى القصيدة الأخيرة من الكتاب الأول لديوان الأحزان، يشير إلى السفينة التى تحمله عبر البحار إلى مدينة منفاه والتى أطلق عليها اسم "منيرفا" وهو المأخوذ من اسم الآلهة منيرفا الحامية لأوليكيسيس فى رحلته.

فاصرار أوفيديوس على هذه المقارنة مع أبطال الملاحم تؤكد معاناته وتبرزها:-

"لقد تحملت الكثير من الأهوال فى البحر والبر"
"Plurima sed pelage terraque pericla passum"
(Tr.3.2.7)

فقد استثمر أوفيديوس رحلته عبر البحر حتى يبرز معاناته ويؤثر فى نفس الإمبراطور أوغسطس لكى يعفو عنه، فهو بالنسبة له الإله الذى عاقبه ونفاه بعيدًا عن روما وعن عائلته وذلك لمحاولة أوغسطس إعادة الاستقرار للمجتمع.

أوسونيوس وعمله الموسيلا:

وهو من شعراء العصور الرومانية المتأخرة فى القرن الرابع الميلادى من مدينة بوردو فى جنوب بلاد الغال، حيث ولد وتعلم قواعد اللغة والخطابة وعمل معلماً للبلاغة لمدة ثلاثين عامًا. وقد عرف الرومان مدينة بوردو بسبب الفرص التعليمة المتميزة التى قدمتها لشباب النخبة الغالبة المحلية، فقد كانت المدينة موطنًا لمجموعة استثنائية من المعلمين والطلاب. وقد جذبت موهبة عمه أيميليوس ماجنوس أربويوس Aemilius Magnus Arborius[1] انتباه الأمبراطور قسطنطينوس ، الذى طلبه كمعلم لأحد

[1] – أيميليوس ماجنوس أربوريوس: "Aemilius Magnus Arborius" كان شاعراً وأستاذاً من أصل رومانى لاتينى، وهوعم والدة الشاعر أوسونيوس، تم استدعاؤه للاشراف على تعليم ابن قسطنطين، وقد أشاد به أوسونيوس فى أعماله.

The Oxford Classical Dictionary,s.v. Arborius.

ابنائـه. و علاقـة أوسـونيوس الوطيـدة بعمـه كانـت السـبب وراء ترشـيح عمـه لـه ليكـون معلمًا لفلافيوس جراتيانوس أوغسطسFlavius Gratianus Augustus[١] الابن الأكبر لفالنتيانوس الأول Flavius Valentianus Augustus[٢].

فمنـذ بدايـة النصـف الثـانى مـن القـرن الرابـع أصـبح التفاعـل بـين العوامـل الداخليـة والخارجيـة التـى تـؤثر علـى الأمـن داخـل الإمبراطوريـة شـديدًا، وقـد بـدأ ذلـك فـى عهـد قسطنطينوس الذى استعان بالقوات الألمانية ضد ماجنيتيوس المغتصب، ولكن أيضا حدث الضعف للقوات المركزية الإمبراطورية، وهو الذى عمل على عدم الاستقرار فى المنطقـة. ويبـدو أن التهديـد كـان للبنيـة التحتيـة والإداريـة كـذلك، وقـد حـاول الأبـاطرة الرومـان فـى تعـاقبهم السـيطرة علـى عـدم الاسـتقرار داخـل رومـا وخارجهـا إلـى أن جـاء الإمبراطور فالنتيانوس الأول وأخيه فالنس[٣] .

---

[١] - فلافيوس جراتيانوس أوغسطس: "Flavis Gratianus Augustus" (٣٥٩-٣٨٣م) تولى الإمبراطورية الرومانية من عام ٣٦٧ الى٣٨٣م ،رافق والده فى شبابه فى عدة حملات على طول حدود الراين والدانوب، وعند وفاة والده واعلان اخيه الاصغر فالنتيانوس الثانى وهو اخيه غير الشقيق خلفاً لوالده من قبل جنود والده، ولقد تقبل هذا الأمر ولكن ظلت لديه السلطة الحقيقية، وحكم جراتيانوس الامبراطورية لسنوات واكتسب احترام الجيش لشجاعته ولكنه أغتيل عام ٣٨٣م.

The Oxford Classical Dictionary,s.v. Gratianus

[٢] -- فالنتيانوس الأول : Flavivs valentinianus Augustus (٣٢١ – ٣٧٥م)، وتولى الجزء العربى من الامبراطورية الرومانية من عام ٣٦٤ إلى عام ٣٧٥م، انتصر على السارمتيان والقاديون، وكان ابرز انتصارته هزيمة الألمان عام ٣٦٧م فى Solicinvm، وكان الإمبراطور الأخير الذى قام بحملات عبر نهر الراين والدانوب، واعاد بنا التحصينات على الحدود مع الأعداء ويعتبر آخر امبراطور عظيم للأمبراطورية الغربية.

The Oxford Classical Dictionary,s.v valentinianus

[٣] - فلافيوس يوليوس فالنس Flavius Julius Valens (٣٢٨ – ٣٧٨م) حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية من عام ٣٦٤ – ٣٧٨م، تم هزيمته وقتله فى معركة عام ٣٧٨م، والتى كانت بداية الإنهيار للإمبراطورية الرومانية الغربية.

The Oxford Classical Dictionary,s.v.Valens.

حيث حكم كل منهما الإمبراطورية الشرقية والغربية التى تقاسماها فيما بينهما، واللذين نجحا إلى حد كبير فى خفض الصعاب التى واجهت الإمبراطورية فى سلسلة من العمليات العسكرية والسياسية(١).

وقد كان تقسيم الإمبراطورية إلى شرقية وغربية يأتى على خلفية الإعتقاد بأن الإمبراطور بمفرده لا يمكنه إدارة الحدود المترامية للإمبراطورية الرومانية لما يحيط بها من تهديدات خارجية كثيرة(٢). فقد كانت تضم الإمبراطورية الغربية كل من ايطاليا واليريكوم وآسبانيا وبلاد الغال وبريطانيا وأفريقيا، بينما تضم الإمبراطورية الشرقية اليونان ومصر وآسيا الصغرى وسوريا وبلاد فارس(٣).

وقد اتخذ الإمبراطور فالنتيانوس الأول من مدينة ترير Trier على ضفاف نهر الموسيلا مقرًا لحكمة ليستطيع من خلالها تعزيز الحدود الخارجية، ولكن تزامن مع هذا الإعلان تعرضه لأزمة صحية شديدة. مما دعى الجنود أن يطالبوا فالنتيانوس الأول أن يعلن خليفة له فى حالة حدوث أى مكروه له، ولذلك فقد أعلن فى أول خطاب له أمام الجيش عام ٣٦٧ ابنه جراتيانوس البالغ من العمر فى ذلك الوقت ثمان سنوات فقط باعتباره خليفته، والإمبراطور المرتقب.

وقد أدرك فالنتيانوس الأول أنه لكى يطمئن جيشه لهذا الإختبار وذلك لسنه الصغير وعدم الخبره، أنه فى حاجة إلى معلم مميز ليتولى تعليمه وتدريبه وبما أن هذه الأحداث تزامنت مع إعلانه لمدينة ترير كمقر له، فكان لذلك اختياره للمعلم أوسونيوس بدا أنه الاختيار الأكثر حكمه(٤) إذا أن اختيار فالنتيانوس الأول لمدينة ترير مقرًا لحكمه لكى يمارس مهامه لحراسة الحدود وإقامة قوات من الجيش على الحدود، ولكى يدير من خلالها عملياته الحربية ضد الألمان أو فى صد هجمات البرابرة خارج أراضى نهر الراين.

2- Malcolm. E., (2006) "Raman Imperial Policy from Julian to Theodosius", University of North Carolina press,50.

3- Ferguson. R.J., (1998) ,The Division and fall of the Roman empire, 78

4- Grant.M., (1998), From Rome to Byzantium: the fifth cemtury AD, Routledge, London, 22 – 23.

1- Mark .H., (2017) " The Emperor and the Army in the later Roman empire, AD 235-395", University of New South Wales., 26-29.

ومنذ تولى أوسونيوس تعليم جرايتانوس عام ٣٦٤م كان ملازمًا لتلميذه حتى فى حملاته مع والده فالنتيانوس الأول، وقد منح بعض المناصب السياسية داخل الإمبراطورية ومنها منصب الكواسيتور "quaestor" وهو المستشار المالى للإمبراطورية وبعد وفاة الأمبراطور فالنتيانوس الأول تولى مناصب آخرى، حيث تولى بلاد الغال وامتدت ولايته إلى أفريقيا وإيطاليا عام ٣٧٨م، وفى عام ٣٧٩م أصبح قنصلاً عامًا وهو يناهز الستين من عمره[١].

وقد استغل أوسونيوس مهاراته وتعليمه المميز لكى يساند فالنتيانوس الأول وابنه جراتيانوس عن طريق بعض من أعماله الأدبية التى يقال أن بعضها كتب بناء على طلب من الأمبراطور نفسه، وذلك ليؤكد من خلالها على الأمن والاستقرار التى تحظى به حدود الأمبراطورية من خلال القوة العسكرية للإمبراطورية الرومانية.

ولهذا فقد نظم أوسونيوس قصيدته الموسيلا عن رحلة قام بها عبر نهر الموسيلا ليصل لمدينته فى جنوب بلاد الغال ومن خلال الرحلة يؤكد أوسونيوس على الأمن الذى تتمتع به حدود الإمبراطورية.

وكذلك ليرسل من خلالها رسائل نصح لتلميذه جراتيانوس، لتساعده على تقبل الظروف السياسية التى تمر بها الإمبراطورية بعد وفاة والده الإمبراطور فالنتيانوس الأول ورفع الجيش لأخيه الأصغر فالنتيانوس الثانى إمبراطورًا وأعطاه لقب أوغسطس على الرغم من كونه لم يتعد الأربع سنوات فى ذلك الوقت وهو الأخ غير الشقيق لجراتيانوس.

وقد رمز أسونيوس لعلاقة الأخوين وأهمية تقبل الأخ الأكبر جراتيانوس لأخيه وانصهارهما معًا كى تقوى الإمبراطورية ولا تتعرض لأى ضعف أو وهن.

وكان يرمز لهذا الإنصهار بعلاقة نهر الموسيلا مع نهر الراين واتحادهما معًا قائلاً:

فلتمضوا فى اتحادكما
أدفعا معاً خلفاً إلى الوراء البحر داكن الزرقة
لا تخف، أيها الراين البديع، واستقبل الصغير

---

[2]- Brown(2012), 87.

فالضيف لن يشعر بالغيرة من أسمك
فاختار الأخ لكن تضمن شهرتك دائماً.
vos pergite iuncti
et mare purpureum gemino propellite tractu
:neu vereare minor, pulcherrime Rhene, videri
invidiae nihil hospes habet: potiere perenni
.nomine: tu fratrem famae securus adopta
(Mos. 426-430)

فإلتقاء النهرين الموسيلا والراين وتوحيدهم يقدم كشيء مازال لا يتحقق وأعد فى سياق نتيجة مازالت غير أكيده للسياسة الإمبراطورية بالقرب من نهر الراين[١] ، فهو يدعو نهر الراين للاشتراك مع نهر الموسيلا فى تيار واحد. كما يؤيد أن نهر الراين لم يغمر الموسيلا، ولكن كلا النهرين يجب أن يحتفظا بهويتهما (genum … nomen, 436)

فالعلاقة بين نهر الموسيلا ونهر الراين تختلف كثيرًا عن العلاقة بين الموسيلا ورافدها فقد وصفها أوسونيوس بالعلاقة الأخوية:-

(Fraternis Gumulandum Mos.440) "إن الراين سوف يزداد بالمياه الأخوية" وأن الاسم والشرف يمكن تقاسمه بين النهرين الأخوين(Mos.428-430) ، فأوسونيوس يصور الموسيلا ليس رافدًا لنهر الراين، ولكن مشاركًا معه، وأن النهرين يجريان معًا ويندمجا فى طول الطريق إلى البحر(Mos: 431 – 437)، فلقد تغيرت جغرافية نهر الراين منذ الفترة الرومانية، وكان الرومان يعتقدون أن نهر الراين لديه ثغرين، ولذلك فإن كلا النهرين يتقابلا معًا ثم ينفصلان مرة أخرى[٢] ، فهو يؤكد أن نهر الموسيلا كان شاهدًا على غزوات الأب والابن (Mos. 420-24).

فبعد موت فالنتيانوس الأول، ساعد أوسونيوس على هدوء انتقال السلطة إلى ولديه، فبالرغم من غضب وقلق جراتيانوس، فقد تقبل الأخ غير الشقيق وحكما معًا، تحت اسم أوغسطس. وعلاقتهما تشبه علاقة نهرى الموسيلا والراين، فجراتيانوس قد أمن

1- Roberts, P.S.,(1988) "The Mosella of Ausonius: An Interpretation" TAPA, 114, 35.

1- Strouse. A.W., (2014) "In te Consumere Nomen: the Politic of Naming in Ausonius Mosella", city University of New York, USA, Names, vol. 62(4),196-199.

لأخيه الأصغر فالنتيانوس الثانى تعليمًا سمح له أن يتولى الحكم بشكل طبيعي بعد ذلك، ولكن خلال حياة جراتيانوس، فإن فالنتيانوس الثانى لم يمتلك قوة حقيقته أو سلطة. فكما كان نهر الموسيلا يشارك نهر الراين. فإن جراتيانوس ينساب خلال أخيه ويمنحه اسمه [١] .

ولم يكتف أوسونيوس بهذه القصيدة فقط التى تعبر عن رحلته عبر النهر الموسيلا لذكر الانتصارات الإمبراطورية والنصائح السياسية، ولكنه أيضًا نظم قصيدتين أخريتين عن نهر الدانوب، يستخدم فيهما الدانوب لتأكيد سيطرة الإمبراطورية الرومانية على الألمان، ومشيدًا بالإمبراطور فالنتيانوس الأول الذى ولد عبر حدود نهر الدانوب فى بانونيا.

ففى الإبيجراما الأولى (Epig. 2, 66) ، يذكر انتصارات فالنتيانوس الأول على "Suevii" وتركز هذه الإبيجراما على رغبة نهر الدانوب لكى يصبح النهر الحقيقى للامبراطورية. ويؤكد على فخر النهر بفتوحات فالنتيانوس الأول مشيرًا إلى رغبته فى أن يصبح قادرًا على أن يزيد من سرعته ليكون رسولاً إلى البحر الأسود، لكى ينقل أنباء الانتصارات إلى كل من فالنتيانوس الأول وأخيه فالنس والإباطرة المشاركين معهم ، فقد تحول نهر الراين إلى جزء من الأمبراطورية التى حكمت بواسطة الأباطرة الرومان، وهو النهر الذى تغذى من نهر الدانوب نفسه. واستخدام أوسونيوس لنهر الدانوب كأداه للإمبراطورية قد دعمت فكرة الأنهار واستخدماتها لتصبح أدوات القوة للإمبراطوية[٢].

وفى الابيجراما الثانية عن الدانوب(Epig. 4.66-7) ، استمر أوسونيوس فى استخدام النهر كرسم وتحديد للهوية الجرمانية التابعة للإمبراطورية الرومانية، ويؤكد تبعيتها لروما ولفالنتيانوس الأول، حيث تفتتح القصيدة بتصريح مباشر عن القوة الإمبراطورية المتسعة وأن مصدر النهر لم يتم كشفه فقط ولكن تم غزوه أيضًا.

2-Ibid, 200.

[1-] Arnold, Ellen.F, (2014). "Fluid identities: poetry and the Navigation of mixed Ethnicities in late Antique Gaul " ohio Wesleyan university, ecozon5 (2).94-96.

ويؤكد كذلك فى هذه الإبيجراما على أن الدانوب هو مصدر للهوية الجرمانية، وقوة فالنتيانوس على حد سواء، ويؤكد كذلك على زيادة التوسع للإمبراطورية أكثر مما هى عليه. فعلى الرغم من أن الأنهار لها حدود يسهل اختراقها، إلا أنها تميزت بالولاء للإمبراطورية مهما حل بها من صعاب[١].

نستخلص من هذا البحث أنه على الرغم من أن السفر فى العالم القديم كان يعتبر أمرًا خطيرًا حتى فى ظل السلام الرومانى، إلا أن الشعراء الكلاسيكين أخذوا على عاتقهم تحويل هذا الخطر والمصاعب أثناء الرحلات إلى أهداف يسعون إلى تحقيقها لكى تخدم أهدافهم السياسية. وخاصة الرحلات التى تعتمد على السفر عن طريق البحر أو النهر، الأمر الذى جعلهم شغوفين بدمج الخيال بالواقع لتحقيق أغراضهم.

وهذا يحدث إما بأمر من البلاط الملكى أو أن يكون نابعاً من شعورهم الخاص بالمسئولية تجاه أوطانهم لتحقيق السلام والمحافظة عليه. وأما الحالة الأولى فكانت لرغبة البلاط فى تشتيت الانتباه عن بعض أنواع العنف التى اتبعها بعض الأباطرة فى زيادة حدود الإمبراطورية أو المحافظة عليها فكان لأدب الرحلات دور كبير فى ذلك، حيث يستطيع الشاعر أن يجذب انتباه المستمع إلى أعمال الخيال ومشاهدة أمتع ما فى الأمر وهو ما حدث عند الشاعر أوسونيوس وأعماله عن النهر ورحلته عبره للوصول إلى الراحه والسكينة فى مدينة جنوب الغال والتى كان يسيطر عليها الرومان.

وكذلك صور فرجيليوس فى ملحمته الإينيادة المصاعب والنزول إلى العالم السفلى ثم الوصول فى النهاية إلى السعادة الحقيقية بإيجاد الوطن الذى يبتغيه. وكذلك لدى أوفيديوس فى قصيدته "ديوان الأحزان" فهو يصف المصاعب والأهوال التى واجهها فى رحلته إلى توميس لكى يكسب عطف الإمبراطور أوغسطس حتى يرجعه إلى روما مرة أخرى.

2- Ibid, 98.

ولهذا فيعتبر استخدام أدب الرحلات للبحار والأنهار أهمية كبيرة لأنه يسمح لكاتبه بأن يقدم ما يريد إلى المستمع فى سلاسة وشغف وذلك من خلال استلهامه الكثير من الأحداث من الأساطير القديمة المعروفة والملاحم الأكثر شهرة حتى يستطيع التعبير عن هدفه بشكل مستتر ودون الإفصاح عنه بشكل مباشر.

والمصادر والمراجع:

-Evelyn white,M.A. (1919) : Ausonius ,Mosella,Trans by.,Hugh.G.,.London, LCL.
- Wheeler, A.L. (1924) :Ovid ,Tristia ,Exponto, London, LCL.
-Faircloug,R.H., (1916): Virgil, Ecolgues, Georgics, Aeneid 1-6, , London, LCL.

المراجع الأجنبية:

- Aleander, W.H,(1957) "The culpa of Ouid" C J 53 (1),.319.
- Arnold, Ellen.F, (2014). "Fluid identities: poetry and the Navigation of mixed Ethnicities in late Antique Gaul " ohio Wesleyan university, ecozon5(2).94-96.
- Brown .P.,(2012) "Through the eye of Needle; wealth, the fall of Rome and the making of Christianity in the west 350-550 AD, Princeton University press,. 87.
- Evans. H.B , (1983)," Publice Carmina, Ovids Book from Exile, Lincoln – London.37.
- Ferguson. R.J., (1998) "The Division and fall of the Roman empire." 78.
- Frankel. H (1945) "Ovid, Apoet Between two worlds" Califrnia,114-5.
- Gorler.F (1969) "VergitZiate in Ausonius' Mosella, "Hermes 97 ,195.
- Grant.M., (1998)"From Rome to Byzantium: the fifth cemtury AD, Routledge, London.
- Holzberg.N. (2002) "Ovid, the powt and his work " London.
- Kenney E.J,(1984) "Ovid, in the Cambridge History of classical literature", Cambridge.
- Lobato,J.H. (2016) "Mystic River: Ausonius "Mosella. As an Epistemological . Revelation , Ramus45(2),231-266.
- Mack.S, (1988)" Ovid", New Haven and London.
-- Malcolm. E., (2006) "Raman Imperial Policy from Julian to Theodosius", University of North Carolina press.
- Mark .H., (2017) " The Emperor and the Army in the later Roman empire, AD 235-395", University of New South wales.

- Roberts, P.S.,(1988) "The Mosella of Ausonius: An Interpretation" TAPA, 114,343- 353.
- Rose H. J,(1942) "Eclouges of vergil", Berkeky.
- Strouse. A.W., (2014) "In te consumere nomen: the politic of Naming in Ausonius Mosella", city University of New York, USA, Names, vol. 62(4),. 196- 199.
- Syme, R.(1978) " History in Ovid", Oxford,.
- Wiedemann. (1975) "The political Backgroung to Ovid's trista2", CQ, 265-6.

المراجع العربية:

– أحمد عتمان(١٩٩٥): الأدب اللاتينى ودوره الحضارى ، القاهرة: دار المعارف .

– فرجليوس: الإنيادة ، الجزء الأول ، ترجمة مجموعة من الأساتذة (١٩٧١)،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

– تغريد فاروق(٢٠٠٨)، ديوان الأحزان وجهاً آخر لأوفيديوس ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة القاهرة.